بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى(هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور)

المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (آيسيسكو)

بالتعاون مع برنامج الأمم المتحدة للبيئة (مكتب غرب آسيا)

ورشة العمل الإقليمية حول

الإعلام التربوي والمفاهيم البيئية من منظور إسلامي

للفترة من 22 – 26 أكتوبر 2007م

مقر اللجنة الوطنية المصرية ـ القاهرة

ورقة بعنـــوان

قضايا البيئة في السودان

ومشكلات تناولها في وسائل الإعلام

إعداد

د / مجذوب بخيت محمد توم

مقدمة :

البيئة هي الوسط الذي يعيش فيه الإنسان ويمارس فيه نشاطاته .

من هنا نعلم أن نشاط الإنسان يؤثر في المكونات البيئية المختلفة ، والواقع في عالم اليوم أنه كلما قربت البيئة من تأثير الإنسان كلما نتجت عن ذلك آثاراً سلبية ، إذ أنه يروق للإنسان بسبب السعي لتحقيق المصالح والمنافسة على المكاسب الاقتصادية أن يعمل على تدمير البيئة من خلال مخلفات الصناعة ، واستخدام الكيماويات والهرمونات في إنتاج الغذاء وغير ذلك من الأنشطة .

وفي بلدٍ كالسودان لم تعد قضايا البيئة تلقى الاهتمام اللازم من عامة الناس، ذلك أن المواطن مشغول بأولوياته المباشرة المتعلقة بمعاشه وسلمه ، وإنما بقى الاهتمام بهذه القضايا منحصراً في طبقة المهتمين من المثقفين حيث لم ترق لأن تكون ثقافة عامة لدى قضاعات الشعب . أما على مستوى الدولة فهناك مؤسسات رسمية تعنى بقضايا البيئة على رأسها وزارة البيئة والتنمية العمرانية ، ويتبع لها المجلس الأعلى للبيئة والموارد الطبيعية ، كما أن هناك مؤسسات بحثية وعلمية كمعهد أبحاث البيئة ، وعدد من الكليات بالجامعات .

طبيعة السودان :

السودان بلد شاسع المساحة ، تبلغ مساحته 5ر2 مليون كلم مربع ، تتعدد وتتنوع فيه الأقاليم المناخية من السافنا الغنية في الجنوب إلى الصحراء في الشمال ، وهذا نتج عنه تنوع وتعدد المنتج الزراعي والحيواني (الأليف والبري) ، إذ يقدر عدد الماشية بـ 134,6 مليون رأس في عام 2004م ، وتقدر مساحة الأرض الصالحة للزراعة بـ 200 مليون فدان مستغل منها 30

مليون فدان فقط ، ومساحة المرعى الطبيعي تقدر بـ 144 مليون هكتار . كما يعتبر السودان من أغنى دول العالم بالمياه العذبه ، تتمثل في مياه نهر النيل وروافده ، الأمطار ، المياه الجوفية .

هذا الوضع يهيئ لبيئة طبيعية صالحة لإنتاج الغذاء ، ويمكن من تحول الشعار الذي كانت ترفعه الكثير من الجهات الرسميـــة وغير الرسميـــة بأن (السودان سلة غذاء العالم) إلى واقع . لكن هذا أصبح الآن بعيد المنال في ظل المعطيات السياسية والاقتصادية الدولية التي أصبحت تطغى فيها سيطرة الوضع الدولى الجديد ـ عقب انتهاء الحرب الباردة ـ على مفاصل الاقتصاد في العالم .

قضايا البيئة في السودان :

نتناول هنا قضايا البيئة الأهم ، والمرتبطة مباشرةً بحياة الإنسان ، ولو رتبنا هذه القضايا بحسب حاجة الإنسان ، نقول أنه بحاجة إلى الهواء أكثر من الماء ، وإلى الماء أكثر من الغذاء ، ثم تأتي حاجته للغذا ء في المرتبة الثالثة . وعليه نتناول قضايا البيئة من خلال هذا المفهوم في ثلاث محاور :

الأول : ملوثات الهواء ، والثاني : ملوثات الماء ، والثالث : ملوثات الغذاء .

أولاً : ملوثات الهواء :

تعتبر ملوثات الهواء من أخطر قضايا البيئة ، ذلك للانتشار السريع لهذه الملوثات وصعوبة السيطرة عليها ، وهناك عدة مسببات تؤدي إلى تلوث الهواء منها :

- الغازات المتصاعدة بسبب حركة المركبات ، والمصانع التي يتركز معظمها داخل وحول المدن فيما عدا صناعات قليلة يتطلب قيامها في منطقة الإنتاج كصناعات السكر مثلاً . وهذا يتيح فرصة لتلوث الهواء بالغازات الناتجة عن عملية الاحتراق مثل ثاني أكسيد الكربون والنايتروجين والكبـريت .
- تنفتح حدود السودان البرية على تسع دول من دول الجوار الأفريقي حيث يقدر طول تلك الحدود بـ 6800 كلم ، ممايصعب معه السيطرة على حركة الإنسان عبر تلك الحدود ، وهذا يتيح الفرصة لانتقال العديد من الأمراض البكتيرية التي تنتشر في المناطق الحدودية في شرق وغرب السودان كمرض السل ومرض الجزام .
- وجود عدة مناطق للنزاعات كمنطقة دارفور مثلاً ، حيث دخلت الكثير من الدول كطرف غير مباشر في النزاع ، إما عن طريق المنظمات التطوعية ، أو القوات الإقليمية والدولية ، هذا الوضع أفرز العديد من المشكلات التي أثرت على الأوضاع البيئية ومن ذلك إقامة معسكرات النازحين التي أصبحت في ذاتها تمثل أزمة بيئية ، حيث السكن المؤقت في المخيمات التي لاتحتوي على المقومات الضرورية للعيش كالتخلص من النفايات الصلبة والصرف الصحي إذ تكون الفرصة مواتية لانتقال الأمراض الفيروسية والبكتيرية ، كما أن سوء إدارة المعسكرات ، وبروز الأجندة السياسية لبعض الدول أدى إلى زيادة عدد النازحين وتفاقم الأزمة ، إذ تحول عدد كبير من الرعاة والمزارعين وسكان المدن

غير المتأثرين بالنزاع إلى نازحين من مناطق الإنتاج ، وهذا يتضح بجلاء في المعسكرات المقامة حول المدن كالفاشر ونيالا.

ثانياً : ملوثات الماء :

- يعتبر نهر النيل وروافده المصدر الرئيس للمياه ، ويعتمد عليه السكان الذين يقطنون على ضفافه في مياه الشرب والري ، وهناك العديد من الروافد والأودية التي تصب في النيل في موسم الفيضان ، ولاشك أن تلك المياه تحمل الكثير من المخلفات التي تأخذ طريقها إلى النهر . هذا بالإضافة إلى بعض السلوكيات الضارة من قبل مواطني دول حوض النهر كرمي الفضلات والحيوانات النافقة والاستحمام ... الخ .
- إن المياه الراكده على جوانب النهر بعد إنحساره في موسم الصيف، وفي المشاريع الزراعية ، تكون سبباً في توالد الحشرات المسببة لبعض الأمراض المرتبطة بالمياه كباعوض الأنوفلس المسبب للملاريا ، ودودة البلهارسيا المسببة لمرض البلهارسيا ، ودودة فلاريا المسببة لمرض عمى الجور ... الخ .

ثالثاً : ملوثات الغذاء :

- رغم خصوبة الأراضي الزراعية وعذوبة المياه إلا أن الأمر لايخلو من استخدام العديد من الكيماويات في إنتاج الغذاء ، ومن أخطر المواد التي يتم استخدامها ، والتي يمـكن أن تتسبب في الإصـــابة

ببعض السرطـــانات مادة الـ (DDT) التي تستخدم كمبيد حشري ومبيد للأعشاب ، وهي معروفه بسميتها العالية . ونظراً لخصوبة الأراضي الزراعية ـ كما أسلفنا ـ فإن الأسمدة يقل استخدامها في الأعمال الزراعية في السودان مقارنة ببقية الدول ، إلا أن ذلك لا يقلل من الآثار البيئية السالبة لاستخدامها حيث تكون الفرصة مواتية لتصاعد بعض الغازات المؤثرة في تغيير المناخ كغاز الميثان والأكاسيد النيتروجينية التي تنتج عن استخدام الأسمدة والمبيدات .

- هذا بالإضافة إلى الملوثات المرتبطة بالنظافة ، التي تبدأ من مناطق الحصاد ، مروراً بالتغليف ، النقل ، وسائل الحفظ ، إلى أسلوب العرض في الأسواق . وما يتبع هذه المراحل من الإدارة والإشراف والرقابة .

تناول قضايا البيئة في وسائل الإعلام

باتباع الأسس العلمية نجد أن العمل الإعلامي يقوم على عدة ركائز ، عليها يمكن قياس واقع العمل والوسائل ، ورغم أن للسودان خصوصيته البيئية إلا أن واقع المعالجة الإعلامية لقضية البيئة لايختلف كثيراً عن بقية الدول النامية عموماً والعربية منها على وجه الخصوص ، وإذا تناولنا هذه الركائز التي يقوم عليها العمل الإعلامي نجدها تتمثل في :

- التخطيط
- تحديد الأهداف

- فهم الرسالة
- تحديد الجمهور
- فهم الوسيلة
- قياس الأثر

أولاً : التخطيط :

هو بداية العمل وأهم خطواته ، ويعرف بأنه توظيف الإمكانيات البشرية والمادية المتاحة خلال فترة الخطة من أجل تحقيق أهداف معينة .

لكن العمل الإعلامي في السودان شأنه شأن غيره من الدول النامية حيث تعترض مسار التخطيط بعض الصعوبات التي تتمثل في :

1. عدم مشاركة مخططي الإعلام في التخطيط التنموي .
2. قد لا يعرف المخططون احتياجات الجمهور ، خاصة فيما يتعلق بقضايا البيئة .
3. وجود اختلاف بين مايريده الجمهور وما يحتاجه .
4. نقص الاتصال بين الإعلاميين الممارسين والباحثين الأكاديميين .
5. ندرة الاستفادة من الدراسات الأكاديمية بسبب عدم تبسيط نتائج البحوث.
6. عدم التنسيق ، سواءً كان بين المؤسسات الخدمية ، أو بين المؤسسات الإعلامية .
7. إغفال أساليب الاتصال الأفقي والتركيز على الاتصال الرأسي الذي ينأى بعيداً عن احتياجات الجمهور .

ثانياً : تحديد الأهداف :

كثيراً ما تبتعد الأهداف عن المعايير والشروط التي تجعلها واقعية التنفيذ ، وعظيمة الفائدة ، ويمكن حصر أهم تلك الشروط فيما يلي :

- أن نعمل على تحقيق الأهداف في حدود الإمكانيات المتاحة .
- وضوح الأهداف لدى القائمين على التنفيذ ، خاصة إذا كانت تلك الأهداف تتعلق ببعض التخصصات ، ومثالنا هنا المعرفة بقضايا البيئة .
- قابلية الأهداف للقياس (الكمي) كتحديد عدد البرامج التي سيتم تقديمها، الندوات ، المحاضرات ... الخ .
- أن تربط الأهداف بين الرغبات والاحتياجات .
- ألا تكون الأهداف متعارضة .

ثالثاً : تحديد الجمهور :

عندما نوجه رسائل تتعلق بالبيئة علينا أن ندرك أن السودان بلد تتعدد فيه الأعراق والثقافات واللهجات ، وعلى سبيل المثال أن جمهور دائرة بث إحدى الإذاعات الولائية وهي إذاعة جنوب دارفور تنتشر بينه خمسة عشر لهجة ، وهذا الوضع يتطلب دراسة الجمهور ديغرافياً واجتماعياً واقتصادياً ، ويشمل ذلك دراسة الفروق الفردية من حيث النوع ، والثقافة ، والفئة العمرية ، ومستوى التعرض لوسائل الإعلام ، وعادات التعرض ، وعقائد المجتمع ، وتقاليده . كل ذلك يحدد على أساسه مضمون وشكل المادة الإعلامية ، فخصائص الرسائل الإعلامية تتبدل وتتغير مضموناً وشكلاً وفقاً لذلك .

ثالثاً : فهم الرسالة :

يتم فهم الرسالة الإعلامية أياً كان محتواها من محورين :

أولاً : أن يبنى مضمونها بحيث تكون واضحة ، صادقة ، مفيدة ، مقبولة ، مناسبة .

وثانياً : أن يبنى شكلها بحيث توضع في قالب مناسب ، وأن تسترعي وتلفت الانتباه ، وأن تتناسب وطبيعة الوسيلة .

وهناك عدة طرق يمكن أن تساعد في بناء رسالة تخدم قضية البيئة ، وعلى سبيل المثال :

- استخدام الأفلام التسجيلية ، خاصة في إبراز البيئة الطبيعية في الوطن العربي كالحياة البرية ، والمنتجعات ، والمراعي .... الخ .
- استخدام الدراما في طرح القضايا البيئية لعامة الجمهور .
- بالإضافة إلى الأسلوب العلمي الذي يعتمد على الإحصاءات والبيانات والشواهد والذي يتم من خلال قالب الحوار والمقابلة.

رابعاً : فهم الوسيلة :

وتنقسم الوسائل إلى نوعين :

النوع الأول : وسائل الاتصال المواجهي -Face to Face Comm:

يتميز الاتصال المواجهي بأنه يساعد على تجسيد رجع الصدى الفوري ، ولذا فهو يوفر قدراً من المرونة التي تسمح للقائم بالاتصال تعديل الموقف الاتصالي تبعاً لتقييم رجع الصدى الفوري .

وعليه فإن الاتصال المواجهي يتميز بمميزات لا نجدها في غيره حيث :

- تزيد فيه احتمالات تأثير القائم بالاتصال ، وذلك لزيادة ثقة الأفراد فيمن يعرفونهم ويقابلونهم .
- يتيح الفرصة لأن تتم عملية الاتصال بشكل دائري فيتميز بالتفاعل ويتم الاتصال في اتجاهين مما يمكن من التعرف على الاستجابات .
- نتائج التفاعل الاتصالي الفوري يمكن من تعديل الرموز ، فيتميز الموقف الاتصالي بالمرونة .
- عادةً ما يمسك المرسل بزمام الموقف الاتصالي .

وفي السودان نجد الفرصة مواتية للاستفادة من هذا النوع من الاتصال خاصة بالنسبة لقضايا البيئة التيتتصل بالمجتمع اتصالاً مباشراً ، وذلك لوجود نظام اجتماعي يمكن قادة الرأي من القيام بدورهم في التأثير على الجمهـــور ، وهؤلاء القادة هم أفراد الإدارة الأهلية كالعمد والمشايخ والسلاطـين ، كما نجد المعلمين وأئمة المساجد وقادة العمل التنفيذي والسياســي .... الخ .

النوع الثاني : وسائل الاتصال الجماهيري Mass Communication:

لم تعد وسائل الاتصال الجماهيري مجرد أجهزة إرسال واستقبال فحسب ، إنما أصبحت بناءً ضخماً من الآليات والأجهزة الإلكترونية التي تبث الكلمة والصورة وتطبع الصحيفة لتصل الرسائل إلى الملايين من الأفراد في الداخل والخارج ، وهذه الصورة هي الصورة المصاحبة لعصر المعلومات . وبعد التطور الذي صاحب وسائل الاتصال الجماهيري أصبحت تكتسب بعض

مميزات الاتصال المواجهي في إمكانية التفاعل وتجسيد رجع الصدى ، وذلك عن طريق استخدامها للوسائل المساعدة على التفاعل مع المتلقي أثناء البث البرامجي المباشر سواءً كان بواسطة الهاتف أو الفاكس أو البريد الإلكتروني .

مشكلات وسائل الإعلام :

إن مشكلات وسائل الإعلام وواقعها في السودان ينعكس بطبيعة الحال على تناول قضايا البيئة ، ويتضح ذلك من خلال استعراض هذه الوسل :

(أ) : الصحافة :

واقع الصحافه يصعب معه القيام بدور مؤثر في دعم الإعلام البيئي وذلك لعدة أسباب أهمها :

- ضعف الإمكانيات ، مما يعرض الصحف لضغوط الإعلان ، ومن ثم تصبح تحت سيطرة الشركات المعلنة (مثل شركات الاتصالات) .
- التناول المفرط للقضايا السياسية على حساب بقية القضايا . وغالباً ما يتم تناول قضايا البيئة وفقاً للمناسبات .
- يمكن وصف الصحافة بأنها صحافة أفراد ، مما يجعلها خاضعة لمزاج المالك السياسي ، أو إنطباعه الذاتي .
- عدم وجود شركات تقوم بعملية التوزيع ، خاصة وأن السودان بلد مترامي الأطراف ، وتقل فيه الطرق المعبدة .
- تبدل الحكومات والسياسات يعرض الصحف لعدم الاستقرار .
- كل ذلك ينعكس بطبيعة الحال على أدء الكوادر الصحفية .

(ب) ً : الإذاعة :

هي الوسيلة الأنسب ، ذلك لما تتميز به كوسيلة اتصال جماهيري تتناسب والمستوى المعيشي لمواطني الدول النامية حيث تقل تكلفة الاستقبال بالإضافة لتخطيها حاجز الأمية ، وتحقيقها لعملية الوصول للمتلقي بسبب تميز موجاتها الأثيرية ، وقدرتها على النفاذ إلى قلبه بسبب إثارتها لخياله .

وتسهم الإذاعة القومية ببرنامج مباشر بعنوان (نحن والبيئة) بالإضافة إلى تقديم مادة بيئية ضمن البرنامج العام من خلال برنامج : دعوا الأشجار تنمو، أرضنا الخضراء ، برنامج الأســـرة ... الخ .

(ج) : التلفزيون :

إن ثورة الاتصالات سريعة الخطا تجاوزت في كثير من الأحيان واقع الدول النامية ، إذ انعكس ذلك على النموء الرأسي للبث التلفزيوني ، حيث أنشأت تلك الدول منذ مطلع التسعينات عدداً كبيراً من القنوات الفضائية ، ورغم لما لهذه القنوات من جوانب إيجابية ، كتخطيها حاجز الرقابة المفروض على الجمهور في معظم هذه الدول ، إلا أن هذا التوسع رافقته بعض السلبيات التي من أهمها :

1) لم يُوضع في الاعتبار الحاجز الاقتصادي لشعو ب الدول النامية الذي لا يمكن غالب تلك الشعوب من متابعة القنوات الفضائية حيث ترتفع تكلفة الاستقبال المتمثلة في الأجهزة بالإضافة إلى المعينات المساعدة كالإمداد الكهربائي .

2) حاجز اللغة لا يمكن القنوات الفضائية من القيام بدور مؤثر في المناطق التي تغطيها أقمار البث ، هذا بالإضافة للمنافسة الكبيرة في تلك المناطق ، خاصة في دول أوربا وأمريكا .
3) الكثير من القنوات الفضائية العربية هي قنوات موجهة للجمهور المحلي حيث يصعب تأثير رسالتها على المستوى العالمي .
4) تكلفة البث العالية للقنوات الفضائية كان يمكن الاستعاضة عنها بالقنوات الأرضية (الأقل تكلفة) بهدف الوصول لعامة الشعب وعدم تجاوزه .

(د) : الإنترنت :

وهذه هي الوسيلة الأحدث بين وسائل الاتصال الجماهيري ، وكان يمكن الاستفادة منها كحلقة اتصال قوية لمناقشة قضايا البيئة ، وإدارة الحوار العلمي حول إصحاح البيئة مع كافة دول العالم خاصة في أوربا وأمريكا ، كما يتسنى من خلالها تبادل المعلومات مع الجهات العاملة في المجال كمراكز البحث العلمي والمنظمات . إلا أن التعامل مع الانترنت تشوبه بعض السلبيات التي نذكر منها :

1) تنحصر الاستفادة من الانترنت في عدد قليل من المثقفين المهتمين وذلك بسبب ارتفاع تكلفة الاستخدام كأسعار الأجهزة وعدم توفر المعينات أو استقرارها كالتيار الكهربائي .
2) عدم القدرة على المواكبة ، حيث لايتم تجديد المعلومات في المواقـــــع (Website Update) بصورة دورية .

3) الترهل الإداري في المجالات المختلفة ينعكس على إدارة المواقع خاصة فيما يتعلق بالحصول على المعلومات .

خامساً : قياس الأثر :

غاية القائم بالاتصال في وسائل الإعلام أن يصل في نهاية العملية الاتصالية إلى الهدف المطلوب الذي يتمثل إما في تغيير سلوك الجمهور حول القضايا البيئية ، أو تعديل سلوكه ، أو تدعيم سلوكه . وقياس هذه النتيجة لابد أن يتم عبر قواعد البحث العلمي وتسمى في الإعلام ببحوث القراء ، أو بحوث المستمعين ، أو بحوث المشاهدين ، بحسب نوع الوسيلة . وحتى نحصل على نتائج علمية صحيحة يجب أن تطبق عملية القياس على كل برنامج ، أو مادة تقدم للمتلقي .

لكن في الواقع أن ذلك لايتم بالكيفية العلمية الصحيحة ، ويعزى ذلك لعدة أسباب منها :

- ضعف الإمكانيات .
- ضعف الكوادر .
- الترهل الإداري في المؤسسات الصحفية .

الخاتمـــة :

لا يمكن القول بأننا ناقشنا كل قضايا البيئة ومشكلات تناولها في وسائل الإعلام في السودان من خلال هذه الورقة . لكننا لفتنا النظر للقضايا المهمة المتعلقة بالبيئة ، والوسائل ، والمشاكل التي تعتريها ، وأسلوب المعالجة

الإعلامية ، والتى يمكن أن تصبح محاوراً للنقاش العلمي الذي يضيف إلى ماتناولناه ويمحصه ، مستشعرين مسؤليتا أمام الله سبحانه وتعالى قبل مسؤوليتنا أمام مجتمعاتنا .

التوصيـــات :

- ❖نظراً لتشابه قضايا البيئة في الإقليم العربي نوصي بتأسيس قناة فضائية متخصصة في قضايا البيئة في الإقليم العربي تطرح وجهة نظرها من منظور إسلامي .
- ❖ إنشاء مركز لبحوث المتلقين (قراء ، مستمعين ، مشاهدين) لقياس وتقويم البرامج المتعلقة بقضايا البيئة بغية تطويرها .
- ❖تأسيس إذاعة تعنى بقضايا البيئة في السودان نظـراً لما يتعرض له السودان من مهددات بيئية باعتباره منطقة نزاعـات .
- ❖التركيز على القنوات الأرضية المنتشرة في ولايات السودان في بث البرامج ذات العلاقة بقضـايا البيئة .
- ❖ دعم المؤسسات البحثية التي تعنى بقضايا البيئة .
- ❖العمل على دمج الصحف في السودان بغرض تكوين مؤسسات صحفية قومية ضخمة قادرة على القيام بدورها في شتى المجالات .

المراجـــع :

1. د. أحمد بدر : الاتصال بالجماهير بين الإعلام والدعاية والتنمية ، وكالة المطبوعات (عبد الله حرمي) ، الكويت ، الطبعة الأولى 1982م .
2. د . السيد أحمد مصطفى عمر : الإعلام المتخصص دراسة وتطبيق ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، الطبعة الأولى 1997م .
3. بلقيس محمد الحسن العشا : اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية لتغيير المناخ وبروتكول كويوتو ، المجلة السودانية للدراسات الدبلوماسية ، العدد الثاني 2002م ، ص 124 .
4. د . عدلي سيد محمد رضا و د . علطف عدلي العبد : التخطيط الإعلامـي ، مركز جامعة القاهرة للتعليم المفتوح ، 2001م .
5. د . عماد حسن مكاوي : نظريات الإعلام واتجاهات التأثير.
6. قانون حماية البيئة لسنة 2002 م (Environment Protection Act 2001) .
7. د . محمد السيد جميل : كيفية بناء قدرات الإعلاميين البيئيين لمعالجة قضايا البيئة ، ورقة عمل ، الخرطوم (4 - 8 ديسمبر 2006م) .
8. الدكتور محمد عبد الحميد : نظريات الإعلام واتجاهات التأثير ، عالم الكتب ، الطبعة الأولى 1997م .
9. Sudan Post-Conflict Environmental Assessment: United Nations Environment Programme .